

الشعر الديني الجزائري الحديث واتجاهاته عند عبد الله ركيبي

الطالبة: أحمد الحاج أنيسة

إشراف الدكتور: عز الدين المخزومي

قسم الدكتوراه بكلية الآداب واللغات والفنون

جامعة أحمد بن بلة 1 وهران

جامعة أحمد بن بلة 1 وهران

إن هذا المقال لا يقتصر فقط على جمع وتحليل الآراء النظرية للناقد الجزائري عبد الله ركيبي في مفهومه للشعر الديني ، وإنما يتعدى ذلك إلى البحث عن أهم أسس التفكير النقدي التي ينطلق منها في مقارباته النقدية لاتجاهات الشعر الديني الجزائري الحديث وأغراضه، ورؤيته لعلاقة الشعر بالدين من خلال أطروحته التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه والموسومة بـ "الشعر الديني الجزائري الحديث".

Résumé: Cet article ne se limite pas seulement à rassembler et à analyser les points de vue théoriques du critique Algérien Abdallah Rekibi dans sa vision de la poésie religieuse. Mais il va plus loin dans la recherche des fondements théoriques de la réflexion théorique sur les quelles il se base dans ses approches critiques sur les tendances et les Objectifs du poème religieux Algérien moderne et ses objectifs et sa vision sur la relation « religion/poème » à partir de son travail de thèse de doctorat intitulé «le poésie religieuse Algérienne moderne».

إن العلاقة بين الشعر والدين علاقة وثيقة جدل ذلك لأن الشعر في حقيقته ما هو إلا انعكاس للنوازع الروحية التي تعتمل في نفسية الشاعر وتصوير لذاته المضطربة، بل إنه ظل وسيظل الأداة المثلى للتعبير عن أحاسيسه وعواطفه المختلفة بخاصة، ورؤيته للحياة والوجود بعامة. ومن هنا، نجد أن اهتمام النقاد قد انصب وتمحور حول تحديد طبيعة هذه العلاقة وشرح عناصرها؛ فعلى أي نحو يرتبط الشعر بالدين؟ وعلى أي منهج يقوم هذا الإبداع الأدبي بتثبيت أركان المعتقدات الدينية، وترسيخها في المجتمعات الإنسانية؟

هذا ما حاول عبد الله ركيبي معالجته من خلال دراساته النقدية العديدة للشعر الجزائري الحديث، فكانت أطروحته التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه الموسومة بـ "الشعر الديني الجزائري الحديث" أهم دراسة عني فيها بهذا الموضوع، حيث حاول من خلالها أن يحدد لنا خصوصية التفاعل الدائم بين الشعر الجزائري والدين، راصدا بذلك أهم المرجعيات والخلفيات الفلسفية والفكرية الفاعلة آنذاك، والمؤسسة لأهم اتجاهات الشعر الديني في الجزائر، وهو بهذا يسلح على أهمية الشعر الديني ودوره في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري بما فيها القومية واللغة. فالشاعر الجزائري- وفق منظور ناقدنا- "وجد في الدين قوة حفظت للشعب عقيدته، ملاذه الذي يلتجئ إليه ووجد في التصوف راحته مع الظلم الذي عم البلاد"⁽¹⁾.

الشعر الديني الجزائري الحديث واتجاهاته محمد محمد الله وحبيبي ————— مجلة فصل الخطاب

إن الناقد في تأكيده لهذا الرابط العضوي الوثيق بين الشعر الجزائري والدين، يحاول الوصول إلى أن ظهور الشعر الديني الجزائري كان نتيجة لذلك الصراع الفكري الذي عاشه المجتمع الجزائري في مواجهاته المتكررة للمد الاستعماري، وحملاته التبشيرية الساعية للقضاء على مقوماته وطمسها.

وهو يؤكد رؤيته هذه بقوله: "الشاعر حين أحس بالضييق على حريته وحرية شعبه، انكفأ على نفسه يجترأحزانه ويصوغها في قصائد دينية يرثى بها واقعه أو عصره، أو أنه من خلال الدين كان يحث الشعب على المقاومة والنهوض، وقد انعكس هذا كله في قصائد الشعراء شكلاً ومضموناً"⁽²⁾.

وهو بموقفه هذا يؤكد لنا بأن الدين لم يكن مجرد مضمون فقط، وإنما كان قوة استمد منها المبدع والمتلقي طاقة روحية للصمود في وجه المحاولات الهادفة للقضاء على الهوية الجزائرية. وقد دفعته رؤيته هذه للتعمق في تحليل عناصر هذه العلاقة، ليوضح لنا بأن ذلك التناغم والتلاحق بين الشعر الجزائري والدين، قد أسهم فعلاً في تفعيل الإبداع الأدبي والتنقيس عن النوازع الروحية لمبدعيه. هذا ما يستشف من قوله: "وهذا الشعر ملاً فراغاً كبيراً في الحياة الثقافية والأدبية، وعبر عن النوازع الروحية والدوافع الأدبية للشاعر الجزائري، وبه حقق ذاته ووجوده"⁽³⁾.

إن الناقد من خلال آرائه السابقة، يحاول الوصول إلى أن الشعر الديني الجزائري الحديث لم يقف عند حدود الفرد، ولم يعن بتلبية حاجاته الروحية فقط، وإنما تجاوز ذلك للاهتمام بالمجتمع الجزائري وطرح مشاكله الاجتماعية والسياسية، ويلتقي معه في نظريته هذه الوناس شعباني الذي أكد لنا بأن "القصيدة الدينية كانت تتجاوز الغرض الديني وتتطرق إلى موضوعات سياسية منها جمع شمل الشعب وعدم الخضوع للمستعمر والدعوة إلى الثورة من أجل استرجاع سؤدد الماضي الضائع"⁽⁴⁾.

وقد عزا ناقدنا تعدد واختلاف اتجاهات الشعر الديني الجزائري الحديث إلى رؤية كل اتجاه منها للدين ومفهومه له^(*)، وهذا ما اوضح لنا في قوله "إن الشعر الجزائري الحديث - وخاصة في القرن الماضي - ينفرد بميزة معينة وهي أن كثيراً منه ينطلق من الدين، سواء ما كان بمفهومه التقليدي مثل الشعر الصوفي، أو بمفهوم جديد ينظر إلى الدين نظرة واعية مدركة لأثره القوي في وجدان الفرد والجماعة، ويفسره تفسيراً يلائم روح العصر"⁽⁵⁾.

وإذا كنا نتفق مع ناقدنا في تحديداته هذه، إلا أننا نختلف معه في تقسيماته المبنية على أحكام عامة ومبسطة، ذلك لأن هذه الاتجاهات وإن كانت تنطلق من خلفيات ومرجعيات فكرية مختلفة، بل ومتناحرة في الوقت ذاته، فهي تشترك جميعاً في خاصيتين رئيسيتين: الأولى كونها

استمرار للنظرة العربية المشرقية وهذا ما أشار إليه هو نفسه وأكلته نور سلمان حينما رأت بأن " الشعر الديني الفصيح يمتاز بالصنعة وبتقليد الأوائل أسلوباً ومضموناً"⁽⁶⁾. والثانية كونها تشترك جميعاً في سعيها الدائم لتصحيح العلاقة المتوترة بين الأدب والدين على مر الأزمنة والعصور، وتحقيقها لشعرية النص وأدبيته.

غير أنه من العدل الإشارة هنا، إلى أن ناقدنا يركز في تقسيماته هذه على رؤيته الخاصة للشعر الديني الجزائري الحديث، الذي يتمظهر لديه في مستويين هامين؛ فأما الأول فهو مرتبط بالثقافة الدينية المحلية المرتكزة على مرجعية ذاتية، متمثلة لديه في الفكر الصوفي الذي ارتبط بـ "الزاوية" التي ركنت إلى الدين تلوز به، وقد أدرج الناقد في هذا الاتجاه، ثلاثة أغراض شعرية وهي: شعر المدائح والتوسلات، وشعر التصوف الخالص، والشعر الديني الملحون. ولما المستوى الآخر فهو قائم على منهج خاص ومرجعية فكرية تعمل على نبذ الأفكار التي لا تتناسب مع مبادئ هذا الدين، وهذا ما تجلى لديه في الشعر المرتبط بالفكر الإصلاحي الذي ثار على الزاوية والمفاهيم الجامدة للدين.

ومن هنا، راح ركيبي يرصد اتجاهات الشعر الديني الجزائري الحديث ويحدد أغراضه، وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال وقوفنا على نقده للشعر الصوفي والإصلاحي.

1- رؤيته للشعر الصوفي: انطلاقاً من رؤيته السابقة للشعر الديني الجزائري الحديث، حاول ركيبي أن يخصص قسماً هلماً من دراساته للشعر الصوفي الذي حدد لنا أغراضه وحصرها في ثلاثة هي: المدائح والتوسلات- التصوف الخالص- الشعر الديني الملحون.

ولكي يعطي لهذا التقسيم والتصنيف مشروعيته العلمية ومصادقيته المعرفية، نراه يركز على أن نشأة هذه الأغراض كانت في ظل الزاوية وبين جدران الطرقية من ناحية، كما أنها تلتقي في استيحائها لنماذج من تراث السابقين عليها من ناحية أخرى. فهي وإن اختلفت في مستوياتها الجمالية والفنية تشترك جميعاً في مرجعيتها الفكرية، المتمثلة في الفكر الصوفي المرتبط بالثقافة الدينية المحلية التي تسعى إلى ترسيخ معتقدات الزاوية ورؤيتها للدين.

وإذا كان الناقد -في رأينا- قد تمكن من رصد خلفياتها الفكرية، فهو لم يحاول البحث عن أسسها الفلسفية ويكون بذلك قد أغفل مستوى بالغ الأهمية يشكل المنبع الحقيقي لهذه الأغراض جميعاً، وهذا ما تنبه إليه "مختار حبار" وأشار إليه قائلاً: "إن أغراض الشعر الصوفي تشترك جميعها في انطلاق أصحابها من أساس فلسفي أو صوفي واحد، لا يخرج عن دائرة اغتراب الخلق عن الحق"⁽⁷⁾، فشاعر المدائح في رأيه يبحث عن الحقيقة المحمدية ويتوق إليها مثلما يتوق شاعر التصوف الخالص للتوحد مع الذات الإلهية، وهذا ما نجده كذلك عند شاعر الملحون الذي يعيش في غربة عن حقيقة الولي، فيسعى للتوحد بها لأنها من تجليات الحقيقة

الشعر الديني الجزائري الحديث واتجاهاته محمد محمد الله وكبيبي ————— مجلة فصل الخطاب

المحمدية. ومن هنا، يصبح الشعر الصوفي بأغراضه المختلفة انفصاما لذات الشاعر عن عالم المادة لارتقائها إلى عالم الروح، بغية التوحد مع الذات الإلهية بتجلياتها المختلفة. وهنا بالذات، تتبادر إلى ذهننا مسألة هامة: تدفعنا للتساؤل عن مدى مقاربة ناقدنا لهذه النصوص- المفعملة بالقلق الروحي الذي يعذب النفس في أشكال متنوعة- وكيفية تعامله معها، فهل استطاع ركيبي فعلا أن يلج إلى أعماقها، أم أنه اكتفى بملامسة بنيتها السطحية ونتوءاتها الخارجية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال نقده المضموني للشعر الصوفي بأغراضه الثلاثة.

أ- شعر المدائح والتوسلات: يعتبر ركيبي شعر المدائح والتوسلات من أهم أغراض الشعر الصوفي في الجزائر، لذا فهو يحاول إثبات هذه الصلة من خلال تأكيدده على أن نشأة هذا اللون الأدبي ارتبطت بالفكر الصوفي، الذي شكل له المناخ المناسب للترعرع والامتداد. ولعل وقوفنا على مفاهيمه النظرية ساعدنا على تحديد رؤيته وموقفه منه، حيث يعتبره نوعا من المناجاة الدينية المفعملة بالنفحات الروحية والعواطف الدينية الصادقة، التي تسمو بصاحبها إلى روح التصوف للتقرب من الحقيقية المحمدية.

وانطلاقا من رؤيته هذه، ينفي صلته بشعر المديح في الجاهلية؛ ذلك لأن هذا الأخير لم يكن ناتجا عن عواطف دينية صادقة بقدر ما كان تلبية لتوازن ذاتية وأهواء تسعى لتنمية روح العصبية في القبيلة الواحدة⁽⁸⁾.

وهو يريد من وراء كل هذا، تنبيه القراء والنقاد إلى أهمية العواطف الدينية الصادقة ودورها في تشكيل هذا اللون الأدبي، كما أنه يستمد مفهومه هذا من رؤية "زكي مبارك" الذي عرفنا على هذا الشكل الأدبي، مبيّنا أنه "فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، ولون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعملة بالصدق والإخلاص"⁽⁹⁾.

كما يلتقي ناقدنا في هذه النقطة مع علي الخطيب الذي حدد لنا أوجه الاختلاف بين شعر المدائح والتوسلات وشعر المديح في الجاهلية قائلا: "فن المديح في الشعر العربي يستهدف الاستجداء، ويصدر عن رغبة أو رهبة، تهنئة بنصر أو دعوة لنزال أو طغيان أو فخر أو عصبية أو رثاء إلى آخره، أما المديح النبوي فقد امتاز بصدق العاطفة وحرارة الشعور، وفرط الوجد في حبه وشدة التعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته، فكان ترجمة صادقة لما يعتمل في نفس المحب من وجد وعشق وهيام، كما كان وسيلة لنيل التقرب من الله سبحانه وتعالى"⁽¹⁰⁾.

ومن جانب آخر، يعتبر ركيبي المدائح النبوية نوعا من التنفيس عن واقع الشاعر وحرمانه وحرمان البيئة عامة من الحرية، فلاذ الشاعر بالدين وبالرسول صلى الله عليه وسلم

يستلهم من رسالته ما يشد عزمه ويملأ حياته، وهو هنا يتفق مع صالح خرفي الذي يؤكد لنا بأن "المناسبة الدينية غالبا ما تكون فرصة للالتفات إلى الماضي واستحضار مواقفه المجيدة، ومقارنتها في هلع وتفجع بالحالة الراهنة التعيسة، أو تكون في صورة استصراخ لأبطال التاريخ العربي الإسلامي، واستنجد بأيامهم المشهودة في وجه الظلم والطغيان، وفي كل ذلك تحفيز الهمم، وبعث النخوة التي كان انفصالها عن ماضيها تحت تأثير الجهل والثقافة المدسوسة، من أكبر العوامل على قتل الحيوية الدافقة، وإخماد الجذوة المهتدة في نفوس المواطنين"⁽¹¹⁾.

لقد حاول ركيبي من خلال قراءاته ومقارباته النقدية التي جمع فيها بين المعطيات السياسية والاجتماعية تحديد أهم المضامين الفاعلة في قصائد المدائح والتوسلات، وهذا ما وقف عنده حينما أكد لنا بأن الشاعر الجزائري قد ركز فيها على الصفات النفسية والجسمية للرسول صلى الله عليه وسلم، والحديث عن التاريخ والإشادة بالكرامات والعناية بها بصورة خاصة.

كما أن التزامه بهاته القراءة النقدية شكل لديه اعتقادا راسخا بأنه سيعيد بناء الصورة الحقيقية لقصائد المدائح والتوسلات، من خلال وقوفه على أهم مضامينها وولوجه إلى أعماق هذه النصوص، فكانت ثقته الكبيرة فيما يشيده تجعله ينتقل مباشرة إلى تفسير القصائد الشعرية في ضوء تلك المعطيات، دون أن يحاول البحث في نفسية الذات المبدعة، وهذا يعود بالطبع إلى انطلاقه من أحكام مسبقة وإيمانه بمسألة مفادها أن "السلبية تتمثل في الشعر الصوفي الذي عني بقضايا قديمة تتصل بالدين، ولكنها لا تمس جوهره وحقيقته، بينما الإيجابية تظهر في الشعر الإصلاحى الذي يعد خطوة متقدمة من حيث المضمون لأنه اتسم بالنقد والهجوم على الواقع"⁽¹²⁾. بل هو لا يكتفي بهذا فقط، بل يعد لنا حتى الإطار الذي ينبغي أن ننظر إليه إلى هذه القصائد، ومن هنا حدد لنا اتجاهات المدائح النبوية "فالنوع الأول هو ما كان امتدادا للتراث القديم، وهو يرتبط -أساسا- بالنظرة الصوفية إلى حد كبير، أما النوع الثاني فهو الذي اتخذ من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ للدعوة إلى النهوض واليقظة"⁽¹³⁾.

ومن هنا، نرى أن على الناقد قبل تطرقه إلى تحديد مضامين واتجاهات شعر المدائح كان عليه أن يبحث عن العوامل والأسباب التي تدفع الذات المبدعة، لاتخاذ هذا الشكل وهذه المضامين كوسيلة للتعبير، وهذا ما لم يشر إليه في دراساته التي طرح فيها فرضيات عديدة دون أن يجيب عنها، وهذا ما تجلّى لنا في قوله: "وهكذا نرى كيف أن المدح والابتهال والتوسل والدعاء تمثل موضوعات عني بها الشعراء الجزائريون، فكانت صدى لوجدانهم من جهة، وتعبيرا عن واقع مجتمعيهم من جهة أخرى، فهي وإن كانت تصدر في روايتها عن نظرة دينية،

الشعر الديني الجزائري الحديث واتجاهاته محمد محمد الله وكبيبي ————— مجلة فصل الخطاب

فإن صلتها بهذا الواقع غير منبئة (مثبتة) ، ولعلها تعبير حي عنه، عما فيه من أحداث وما جدي فيه من مشاكل، وربما كان للتغيير الذي طرأ على المجتمع أثر في الشاعر سلبي وإيجابا وربما كان تعرض له الدين على وجه الخصوص من اضطهاد ومن انتهاك لشعائره بسبب الاستعمار، ربما كان لهذه العوامل كلها أثرها في الشاعر، فوقف موقف الرفض أو موقف الحزن والبكاء، لأنه لا يملك غير هذا⁽¹⁴⁾.

والناقد بعد كل هذا، لم يتمكن من تحديد الأساس الفلسفي الذي تنطق منه الذات الشعاعية في المدائح والتوسلات، والأسباب الحقيقية التي تقف وراء ذلك لذا فهو يقول: "وقد يعد هذا في نظرنا موقفا سلبيًا ونظرة تشاؤمية، ولكنه في وقت مضى كانت له ظروفه الخاصة وكان هو السلاح الوحيد الذي عبر به الشعراء عن ظروفهم وعن حياتهم وإحساسهم بالواقع ومرارته"⁽¹⁵⁾.

وبناء على ذلك، اقتصر نقده لقصائد المدائح والتوسلات على المضامين والملاحم الظاهرة من القصيدة، دون أن يحاول الغوص في أعماق الألفاظ والمعاني، وهذا ما أكدته لنا قراءته النقدية لقصيدة "يا سائلا عن جمال كان لي وطنًا" لمحمد بن سليمان، حيث عزا الناقد بعض الملاحم الصوفية فيها إلى رغبة الشاعر في إضفاء طابع الحركة في الجانب التصويري للقصيدة، فهو يقول في ذلك "ولكي يجعل الصورة مكتملة بعد لقائه بالرسول صلى الله عليه وسلم ورؤيته له وهي نظرة صوفية، لا يكتفي باللقاء والنظر، وإنما يؤكد الشاعر بأن شفاه الرسول صلى الله عليه وسلم قبلته مبالغة في القرب والامتزاج، حتى يجعل من وصفه صورة متحركة فيها حيوية، وليس وصفا مجردا للرسول صلى الله عليه وسلم كما هي عادة قصائد المديح"⁽¹⁶⁾.

غير أن الشاعر في رأينا، حاول التقرب من ذات الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما دفعه للتحدث عن صفاته النفسية ثم تطرق إلى صفاته الجسدية، فكانت قصائد المدائح أفضل وسيلة لتحقيق ذلك الامتزاج؛ وذلك لأنها "تبنى عادة إلى جزأين متقابلين أحدهما يجسد بعد الغياب متمثلا في الذات الناقصة أي ذات الشاعر، وآخرهما يجسد بعد الحضور متمثلا في الذات الكاملة، لينتهي المديح باجتماع الناقص بالكامل اجتماع توسل"⁽¹⁷⁾. فغاية الشاعر بهذا لا تكمن في إضفاء طابع الحركة في القصيدة بقدر ما هي رغبة في الامتزاج والاتحاد بذات الرسول صلى الله عليه وسلم وبحث عن الحقيقة المحمدية.

والناقد بهذا لم يتمكن من الغوص في أعماق القصيدة وإنما اكتفى بملامسة بنيتها السطحية، وهذا ما سيتضح لنا أكثر في دراسته لشعر التصوف الخالص.

ب- شعر التصوف الخالص: لقد اتضح لنا من خلال دراستنا لأراء ركيبي ومفاهيمه حول الشعر الصوفي عدم اهتمامه بتتبع مفاهيمه، حيث اكتفى فقط بمقارنة أفكار الشعراء الجزائريين

المتصوفة بمبادئ فلسفة ابن عربي وغيره من علماء التصوف وفلاسفته. وهذا يعود في رأينا إلى أن مفاهيم التصوف كثيرة، ومتعددة بتعدد رجالها وأعلامها. وهذا ما أشار إليه هيثم الجنابي في إحدى مقالاته النقدية مؤكداً لنا صعوبة تحليل جميع آراء المتصوفة للبرهنة على نموذجها المتميز في مواقفه ونظراته من أدب السلوك فالمتصوفة تشترك في تباينها، بل إن تباين الطرق الصوفية في تقنين سلوكها يقوم في افتراض كل منها كون المبادئ الأولية لطريقته هي الأسهل والأدق لتربية المريد في بلوغ ما أسمته الصوفية بدرجات التوحيد⁽¹⁸⁾.

غير أن دراسات ركيبي النقدية لقصائد التصوف الخالص، مكنته من تحديد مضامينها وتكوين رؤية خاصة لهذا الغرض الشعري الذي يبحث في النفس الإنسانية، ولكن بعمق فلسفي يسعى لتطهير النفس والروح من حب الدنيا وملذاتها.

ومن هذا المنطلق، يحاول الربط بين التصوف والفلسفة، فهو يقول في هذا الإطار "نعي بالتصوف الخالص في الشعر الجزائري الحديث، ذلك اللون من القصائد التي اتجه فيها أصحابها إلى الحديث عن القضايا التي عرفت في الفكر الصوفي بوجه عام، وفي الأدب والشعر بوجه خاص، مثل "الغزل الإلهي" و"الخمرة الإلهية" و"وحدة الوجود" و"النور المحمدي" وما إلى ذلك من القضايا أو الأفكار الفلسفية التي برزت في الفكر الصوفي، بعد أن دخلته تيارات فكرية كثيرة دخيلة على ما في الدين الإسلامي من بساطة"⁽¹⁹⁾.

وإذا كان الناقد يؤكد لنا ذلك الترابط العضوي بين التجريبتين إلا أنه يحاول وضع الحدود الفاصلة بينهما في مقارنته بين المتصوف والفيلسوف، وهذا ما اتضح لنا في قوله "والمتصوف شاعراً أو مفكراً يبدأ من نقطة الشك، لأنه الطريق إلى المعرفة وهو يلتقي في هذا مع "المتفلسف" فكلاهما يبدأ من هذه النقطة، ولكن الخلاف ينشأ بعد ذلك، إذ طريق المتصوف تعتمد على الذوق والرياضة والمجاهدة، بينما طريق الفيلسوف هي العقل وما يستخدمه من براهين وحجج لإقامة مذهبه أو الوصول إلى رأي ثابت في الله أو في الكون والطبيعة، وإذا كان هدف الفيلسوف هو البرهنة على وجود الله، فإن هدف الصوفي هو الوصول إلى الله والفناء في حبه"⁽²⁰⁾.

إنه بهذه الرؤية يؤكد لنا ذلك التداخل الكبير الحاصل بين تجريبتين مختلفتين من حيث المنبع والمسار ومتكاملتين من حيث الغرض والهدف.

وانطلاقاً من مقارنته السابقة بين التجريبتين الفلسفية والصوفية حاول الناقد الوقوف على أهم مضامين الشعر الصوفي الخالص وذلك من خلال تحديده لمحورين مهمين: فأما الأول فهو الذي يعنى بقصائد التساؤلات الكبرى كالقلق والحيرة والبحث عن اليقين، وهذا ما

. 59 .

الشعر الحديث الجزائري الحديث واتجاهاته محمد عبد الله رجبوي ————— مجلة نصل (الطرابلس)

استخلصه في دراسته لقصائد عدة بن تونس ومحمد بن سليمان والأمير عبد القادر. أما المحور الثاني فهو الذي يشمل قصائد الموضوعات المختلفة والمتداخلة في القصيدة الواحدة كالحديث عن الذات الإلهية والحقيقة المحمدية والغزل فهما متخذين من الخمر الإلهية رمزا لذلك.

إن المتمعن في نقده المضموني لقصائد التصوف الخالص، سيدرك محاولات الناقد للتفريق بين المواضيع والرموز، وهذا ما أشار إليه مختار حبار ولكن بشكل أدق حينما حدد لنا الاختلاف بينهما قائلا: "موضوعات الطلل والغزل والرحلة والحنين والحزن، هي موضوعات يمكن أن تتداخل في قصيدة واحدة، ويمكن أن تكون موضوعة واحدة منها قائمة في قصيدة واحدة أو مقطوعة، ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر، ولذلك فهي أغلبها يمكن أن ينطبق عليها اسم أيقونات (Econs) في لغة السيميائيين وذلك لعلاقة المشابهة التامة أو شبه التامة بين ما تدل عليه موضوعة ما، مما سبق، في تفاعل مفرداتها وتضافرها فيما بينها ظاهريا وفي الواقع، وبين المتصور الدلالي الصوفي الذي تشير إليه باطنيا وفي اللاواقع، ثم إن هناك موضوعات أخرى إلى جانب السابقة، لكنها وظيفية مثل المقام والحال والوقت ورتب الصوفية وهي الموضوعات المنطقية بالقياس إلى القصيدة الصوفية، والتي تعد من القرائن الأساسية التي ترفع القصيدة بمقتضاها دلاليا إلى أجواء صوفية"⁽²¹⁾.

وانطلاقا من منهجيته السابقة التي عمل فيها على مقارنة أفكار الشعراء الجزائريين المتصوفة بمبادئ وأفكار أعلام التصوف العرب، حاول رجبوي مقارنة قصيدة ابن الفارض بقصائد الشعراء المتصوفة الجزائريين، ليخلص بذلك إلى أن قصيدة ابن الفارض تمتاز بوحدة موضوعها لأنها كلها في الخمرة الإلهية ووصفها وتصويرها من شتى الوجوه، بينما الشعراء الجزائريون في قصائدهم الصوفية يتناولون مواضيع عديدة كحديثهم عن الخمر الإلهية أو التغزل فيها أو غير ذلك من الموضوعات التي تتمثل بالتصوف من قريب أو من بعيد. وهذا ما أكدته الناقد في دراسته لقصيدة الأمير عبد القادر حيث يرى بأن الشاعر في هذه الأبيات التي وصف فيها الخمر الإلهية أو خمر المتصوفة لم يعتمد إلى قصيدة مستقلة مثلما فعل ابن الفارض وإنما أدمجها في قصيدة مدح بها شيخه"⁽²²⁾.

ويلتقي معه في هذه النقطة فؤاد صالح السيد الذي يؤكد لنا بأن "قصيدة الأمير الصوفية التي ضمنها ذكر الخمرة تكاد تكون صورة طبق الأصل لقصيدة ابن الفارض، بيد أن الفرق الوحيد بينهما هو أن موضوع قصيدة ابن الفارض الخمرة الإلهية فقط وأما قصيدة الأمير فيكون الموضوع الخمر جزءا منها"⁽²³⁾.

لقد عمل رجبوي على تحديد وظيفة الشعر الصوفي من خلال دراسته لقصيدة البوعبدلي، فهو لم يكتفِ إذن بآرائه النظرية السابقة وإنما حاول إبراز وظيفة الشعر عند

الشعراء الجزائريين المتصوفة بصورة أدق من خلال دراسته التطبيقية لهذه القصيدة حيث كشف لنا عدم اكتراث الشاعر بالإعراب لأن همه التعبير عن التفرد والعبادة فالشاعر-في منظوره- لا يفصح عن رأيه بل هو يرى في الشعر ذلك التعبير الذي يساعد على تصوير الجمال، وبما أنه شاعر متصوف فهو يقصد الجمال المطلق ومن ثمة تبقى وظيفة الشعر وظيفه دينية بحتة.

إن ما يفهم من طرحه لوظيفة الشعر الصوفي، محاولاته للتأكيد على أن القضايا الفلسفية والصوفية تفصل الشاعر عن واقعه ومجتمعه، وبالتالي فهي تحصر الشعر ووظيفته في الجانب الديني فقط.

وبناء على هذا، يتخذ ركيبي من التصوف عامة ومن الشعر الصوفي خاصة موقفا سلبيا، ذلك لأن الشعر الراقي -في منظوره - هو الذي يحمل بصمة صاحبه ويعبر عن ذاته ويكون في الوقت ذاته تعبيرا عن القضايا الإنسانية والاجتماعية الهادفة، ويبرز موقفه هذا برؤية الشاعر الصوفي للوجود التي تدعوه للانعزال، وبدور بعض الطرق الصوفية التي أسهمت في تغذية روح الخضوع لدى طائفة كبيرة من أتباعها.

وهو بموقفه هذا، يختلف مع الكثير من النقاد في رؤيتهم للشعر الصوفي بعامه والشعر الجزائري الصوفي بخاصة، وهذا ما نستشفه من موقف فؤاد صالح السيد الذي يرى بأن "التصوف، ينمي الجوانب الروحية والخلقية في الإنسان، ويبعده عن الجوانب المادية الضيقة المغلقة"⁽²⁴⁾، وقد حاول إثبات ذلك في دراسته لقصائد الأمير عبد القادر حيث يرى بأن "التآلف بين التصوف ونفسية الأمير، ورغباته، وميوله الفطرية، قد ألى إلى بروز الجوانب الروحية الخلقية بروزا واضحا في سلوكه اليومي، وتصرفاته الحياتية، فانعكست هذه الناحية الروحية الخلقية في أشعاره الغزلية"⁽²⁵⁾. فالصوفي إذن يحمل رسالة روحية من عالم الذات الباطنية لتحقيقها في عالم الواقع بغية إصلاح الكون والارتقاء به نحو صورة مثالية نموذجية، وما نلاحظه على ناقدنا، في دراسته لشعر التصوف الخالص، هو أنه لم يهتم بالجوانب الروحية فيه، بقدر اهتمامه بمساهماته في القضايا الإنسانية والقومية، وهذا ما شكل لديه اعتقلا راسخا بفشل الشاعر الصوفي في تغيير محيطه والتأثير فيه.

ج-الشعر الديني المملحون: خصص عبد الله ركيبي فصلين من دراسته "الشعر الديني الجزائري الحديث" للحديث عن أهم قضايا الشعر المملحون، وعلاقته بالدين والقومية، وقد على في بداية دراسته النقدية سبب اختياره لإطلاق كلمة المملحون على الشعر الشعبي الجزائري، بما يلي: "اخترت مصطلح "الشعر المملحون" دون غيره من المصطلحات الأخرى التي استخدمها الباحثون، مثل "الشعر الشعبي" أو "العامي" تماشيا مع ما شاع في البيئة الأدبية بالمغرب العربي

الشعر الديني الجزائري الحديث واتجاهاته محمد عبد الله رجبوي ————— مجلة فصل الخطاب

التي عنيت بدراسة هذا الشعر، فجمعته وسجلته، وقد اتخذ هذا الشعر اللهجة " العامية أو "الدارجة" أداة له، وبذلك كان تعبيراً عن مزاج العامة من الناس" (26).

كما استبعد ناقدنا إطلاق تسمية الشعر "العلمي" على الشعر الشعبي إيماناً منه بأن كلمة عامي قد توحى بأمية القائل والمتلقي معاً، وأن هذا الشعر لا صلة له باللغة المعربة وهذا ما نستشفه من قوله: "فإن تسمية هذا الشعر "بالعلمي" قد توحى بأن قائله "لبي" لا معرفة له باللغة، قراءة أو كتابة، وقد توحى أيضاً بأن المتلقي له من الأميين... والواقع أن الحال يختلف، فالقائل قد يكون أمياً، وقد يكون متعلماً بصورة أو بأخرى مثل المتلقي أيضاً، ذلك أن بعض القصائد بالرغم من أنها لا تراعي القواعد اللغوية، فهي في روحها فصيحة؛ لأن ألفاظها وعباراتها مما يدخل في تركيب الفصحى، لا في تركيب العامية أو نسيجها" (27). غير أن معظم الدارسين يخالفون رجبوي في اختياره لمصطلح الشعر الملحون على أساس شيوع استخدامه في بلدان المغرب العربي فمحمد المرزوقي يرى أن "الشعر الملحون الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم، فهو أعم من الشعر الشعبي، إذ يشمل كل منظوم بالعامية، سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله، وسواء روي من الكتب أو مشافهة وسواء دخل في حياة الشعب فأصبح ملكاً للشعب أو كان من شعر الخواص" (28).

ومن جانب آخر يرى التلي بن الشيخ "أن اللحن صفة مشتركة بين أنواع الأدب الشعبي بالإضافة إلى أنها تخص النطق بصورة خاصة، كما أن عباس بن عبد الله الجارري دعا إلى استخدام مصطلح الزجل" (29)، وهذا ما يؤكد لنا عدم وجود دراسات أو باحثين يستخدمون مصطلح الشعر الملحون.

إن غايتنا الأساسية من وراء تقديم هذه الآراء المختلفة، هي الوقوف على الأسباب الحقيقية التي دفعت به لاختيار هذا المصطلح، وبناء على ذلك يمكن القول أن ناقدنا لم يعتمد على معايير وحجج مقنعة، وإنما اكتفى فقط بتحديد الفرق بين نوع الشعر الذي يهتم بدراسته وبين الشعر الشعبي العام، حيث يرى أن الأول يتميز ببعض الخصائص وهو يتحدث عنها قائلاً: "أما الشعر الذي نعرض له في هذا الفصل فأصحابه -كما أشرنا- معروفون في جملتهم، وهم وإن عذروا بقصائدهم ومنظوماتهم عن أشواق الناس وخلجات نفوسهم وصبواتهم الروحية، فإن النص يبقى مرتبطاً بصاحبه وبقائله وحده معبراً عن شخصيته وثقافته ومحصوله اللغوي أو ملكته الأدبية أو نوازعه الروحية ومشاعره الذاتية" (30).

إن ما يفهم من طرحه هذا، هو تأكيد على أن شاعر الملحون قد تمكن في أحيان كثيرة من الجمع بين الجانبين الذاتي والموضوعي في شعره، وقد أكد نظرته هذه من خلال دراسته

لشعر المدائح الذي يستوحى فيه الشاعر من سيرة الرسول ما يلائمه لإسقاطه على الأحداث التي عاشتها الجزائر أثناء الاحتلال.

وانطلاقاً من مفهومه للإبداع الشعري، الذي يجب أن يعنى فيه المبدع بقضايا الإنسانية والاجتماعية، اتخذ ركيبي من قصائد الشعر الملحون التي تعنى بقضايا التصوف الخالص موقفاً سلبياً، وذلك لبعدها عن المجتمع وتوقع مبدعها على ذواتهم، وهذا ما أكدته لنا في دراسته لقصائد قدور بن عاشور⁽³¹⁾، التي شكلت لديه النموذج الأمثل في تدهور الشعر الملحون أسلوباً وموضوعاً ومضموناً، فهي مثال للفكر السلبي الذي أسهم في التخلف الفكري بشطحاته الغيبية ونظراته الضيقة للدين.

وهو بهذا، يسعى إلى التأكيد على أهمية الأصالة والصدق الفني في الشعر، وهذا ما يتضح لنا في قوله: "ويمكن أن نفرق هنا بين الشعر الذي لا يفعل فيه صاحبه حين يكون لمجرد التبرك، وبين الشعر الذي يعبر به الشاعر عن تجربة حياة عاشها واصطلى بنارها، الأمر الذي يجعله مرتبطاً بنفسية القائل بصورة حادة، ومعبراً عن ذاته وشخصيته وإحساسه العميق"⁽³²⁾ وناقداً بهذا يحذر الشاعر من خطر الالتصاق بتجاربه الذاتية، ويدعوه إلى معايشة تجربته الشعرية، والجمع بينها وبين واقعه الاجتماعي، مفضلاً التجربة الشعرية الحية والواقعية على التجربة التاريخية البالية خاصة إذا لم تحمل في ثناياها غايات اجتماعية وإنسانية تخدم الفرد والمجتمع.

ومن جانب آخر، يرى أن الشاعرين الرسمي والشعبي يلتقيان في أرضية واحدة، يتقاربان في النظرة وفي الإحساس وفي التفكير والتذوق معاً⁽³³⁾. غير أن التلي بن الشيخ لا يتفق معه في ذلك لأن نظرة الأديب الشعبي إلى الإطار الثقافي والحضاري، لا تتعلّق بالمظاهر البسيطة بل الساذجة أحياناً فنظرة الشاعر محمد العيد ورؤيته للإطار الثقافي والحضاري لا تتقارب مع نظرة الشيخ بن يوسف، بالرغم من وحدة الإطار الثقافي العربي، وهو يعتقد بأن وحدة الإطار لا تعني بالضرورة تقارباً في النظرة وفي التفكير بين أدبيين ينطلقان من واقع ثقافي يختلف كل الاختلاف⁽³⁴⁾.

غير أننا نرى أن ركيبي حينما تحدث عن الإطار الحضاري المشترك الذي يجمع بين الشاعرين الرسمي والشعبي، لا يقصد هنا المستوى الثقافي أو العلمي وإنما هو يشير إلى المقومات المشتركة بينهما كالدين واللغة والعروبة والتاريخ، وهذا ما تجلّى لنا في نقده المضموني لقصائد الشعر الديني الملحون، التي رصد من خلالها محاور ثلاثة وهي: الدين السياسية والقومية⁽³⁵⁾. ومن هنا، يتخذ من الشعر الديني الملحون-البعيد عن القضايا الصوفية الخالصة- موقفاً

الشعر الديني الجزائري الحديث واتجاهاته محمد عبد الله رجبوي ————— مجلة نصل الخطاب

إيجابيا، وذلك لتمكن شاعر الملحون من توسيع الأفق القومي في قصيدته الشعرية، فاستطاع بذلك أن يجمع بين الدافعين : القومي والذاتي، في تجربته الشعرية ورؤيته للوجود.

2- رؤيته للشعر الإصلاحي: يعتبر الاتجاه الإصلاحي من أبرز التيارات الفكرية التي عرفتها الساحة الأدبية في الجزائر، حيث ترك لنا بصمات بارزة في حياتنا الثقافية والأدبية آنذاك، لذا حاول رجبوي دراسة الإبداعات الشعرية المتمخضة عن هذا الاتجاه، وقد تمكن - من خلالها - تحديد خصائصه وأهم سماته التي تميزه عن غيره، معتبرا إياه "فكرا متقدما ومتطورا لأنه خطا بالفكر الجزائري خطوة هائلة نحو الأمام من خلال تحقيقه لأهداف معينة، حصرها الناقد في ثلاث نقاط هامة وهي:

1. إحداثه لنوع من التوازن بين الماضي والحاضر، فهو فكر وسطي، فكر توفيقي بين الحضارة العربية والغربية.

2. ملاءمته بين العقل والدين، فهو الفكر المجدد الذي يؤمن بالاجتهاد.

3. قرنه القول بالفعل واعتماده على مناهج خاصة في بلورة أفكاره⁽³⁶⁾.

ويخلص ناقدنا من خلال إدراجه للخصائص السابقة إلى اتخاذ موقف إيجابي من هذا الاتجاه الفكري، وحجته في ذلك فهمه للدين فهما جديدا لاءم معطيات الأحداث بخلاف الفكر الطرقي، الذي اعتبره الناقد فكرا مجردا محدودا يتشبث بالماضي وينعزل عن المجتمع ولا يخوض في قضاياها، فهو بالنسبة له فكر سلمي في عمومته لأنه يعوق ولا يدفع، يؤخر ولا يقدم⁽³⁷⁾.
إن المتمعن في مواقفه النقدية السابقة سيدرك بوضوح مدى الأهمية القصوى التي يولمها الناقد للمعيار الديني ودوره في تشكيل المرجعيات الفكرية المختلفة، وهذا ما دفعه للتأكيد على أن الاختلاف بين الفكرين الإصلاحي والطرقي لم يكن إلصراعا نشأ عن موقف كل منهما للدين، فالفكر الإصلاحي متفتح في فهمه للدين، أما الفكر الطرقي فكان جامدا متحجرا نظر إلى الإسلام على أنه مجرد طقوس كهنوتية.

ويلتقي معه في رؤيته هذه، عبد المالك مرتاض الذي يؤكد لنا بأن الفكر الجزائري الحديث اتخذ وجهها جديدا بظهور الحركة الإصلاحية، فأصبح يقوم على مقارعة الحجة بالحجة والإدلاء بالبيئة مقابل البيئة الأخرى. وهذه الخاصية لا ريب، عملت على إخصاب الفكر الجزائري الحديث الذي كان من قبل قائما على الاعتقاد والتصديق دون الانتقاد والاستدلال⁽³⁸⁾.

وفي نفس الإطار حاول رجبوي أن يحدد لنا الفرق بين الإصلاح كفكرة وبينه كحركة، حيث يعتبر أن "الشعر ارتبط "بالفكرة" قبل أن تصبح "حركة" فيما بعد، ذلك أن "الفكرة" سبقت "الحركة" واقعا وفعلا وتاريخا وظهورا فقد نمت قبل هذا القرن وأخذت تتبلور شيئا فشيئا حتى

قامت الحرب العالمية الأولى حيث بدأت تبرز بشكل منظم على نحو ما اتضحت قسماتها عام 1925 بظهور جريدة المنتقد⁽³⁹⁾.

ويلتقي معه في رأيه هذا صالح خرفي الذي أكد لنا بأن "الشعر الديني لم يولد مع (جمعية العلماء) ، ولا ولدت معها الفكرة الإصلاحية وإفما هما أسبق، وجاءت الجمعية تجسيما للفكرة في تنظيم محكم وسياسة ذكية وأبعاد مرموقة في محيط جزائري بالدرجة الأولى، قامت الجمعية ارتدادا بالطرف إلى البيئة المحلية، وتركيزا للنظرة على موطئ القدم"⁽⁴⁰⁾.

لقد عمل ناقدنا في دراسته للشعر الإصلاحي على تفكيك مضامينه الجزئية، حيث خلاص في ذلك إلى أن هذا الشعر استطاع أن يجمع في ثناياه بين مفهومين : "مفهوم القيم الدينية والحضارية والإنسانية وبين نهضة المجتمع"⁽⁴¹⁾، وهو بهذا يؤكد منحاه الواقعي النقدي سواء في رؤيته للواقع أو في معالجته لقضايا المجتمع، إلا أن المضامين الدينية تظل في منظور ناقدنا المحور الذي تدور حوله المضامين الفرعية الأخرى، فهو الأساس الذي يركز عليه الفكر الإصلاحي، لأن "الشاعر الإصلاحي لا ينسى لحظة واحدة وفي أية قصيدة أن يتحدث عن القرآن والسنة، لأنهما المبدأ والمنتهى وهما الأساس الذي بنيت عليه الفكرة الإصلاحية"⁽⁴²⁾.

لقد أدرك ناقدنا -بحكم دراسته لطبيعة الشعر الإصلاحي- فشل الشاعر في عكس تجربته الذاتية، حيث انشغل بتصوير قضايا المجتمع وموضوعاته وأغفل التعبير عن ذاته، وهذا ما جعل معظم الشعراء الإصلاحيين "يتفوقون في سمة عامة أنهم لم يعبروا عن ذواتهم بقدر ما عبروا عن موضوعات متشابهة بل متفقة إلى حد كبير"⁽⁴³⁾، وهذا ما أشار إليه محمد ناصر الذي يرى بأن "النظرة الإصلاحية للشعر تطرفت بعض الشيء حين قصرت نظرها على الجانب الاجتماعي والديني، دون العناية بالشاعر وأحاسيسه باعتباره إنسانا ودون النظر إلى العمل الشعري من جانبه الجمالي"⁽⁴⁴⁾. وبناء على رؤيته السابقة لطبيعة الشعر الإصلاحي ووظيفته، يؤكد ركيبي أن موقف الشاعر الإصلاحي ينطلق من نظرة جماعية لرسالة الشعر؛ أي أن دور الشعر ينحصر في الاهتمام بالجوانب الأخلاقية والاجتماعية والسياسية دون التركيز على الجانب الفردي أو الذاتي.

وإذا كان ركيبي يرى بأن الشاعر الإصلاحي ألغى ذاته في شعره، فإن واسيني الأعرج يخالفه الرأي، حيث يؤكد لنا بأن "القضايا الدينية والاجتماعية والثقافية قد شغلت بؤرة شعور الشاعر وملكت عليه أحاسيسه وتغلب عليه الوازع الاجتماعي فغابت ذاتيته واضمحلت (أناه) في مواجهة غيره"⁽⁴⁵⁾. بل إن الشاعر الإصلاحي لم يلغ دور الذات إلغاء تاما في العملية الإبداعية، كما بين ركيبي ذلك في كتاباته النقدية، وإنما سخر ذاته وأناه لخدمة الوجدان الجماعي للأمة التي ينتهي إليها.

الشعر الديني الجزائري الحديث واتجاهاته محمد عبد الله ركيبي ————— مجلة نصل الخطاب

والملاحظ أن ناقدنا لم يقف عند تحديد وظيفة الشعر الإصلاحي فقط، وإنما حاول أن يبحث عن العوامل التي تقف وراء مفهومهم للشعر، وهو بذلك قد حصرها في رؤيتهم للتجديد الذي اقتصر على الجانب المضموني فقط، "فالشاعر الإصلاحي يعبر فقط عن متغيرات حدثت في بيئته وأمور حدثت في حياة الشعب الذي ينتمي إليه"⁽⁴⁶⁾.

ومن هذا المنطلق، عزا الناقد فشل الشاعر الإصلاحي إلى عدم تحقيقه للتوازن المطلوب بين الجانبين المضموني والجمالي، فالشعر الجيد في منظوره؛ هو الذي يجمع بين المضمون العميق والشكل الجميل. وهذا ما لم يتحقق عند الشاعر الإصلاحي الذي أغفل القيم الذاتية الموجودة في الشعر، فهو لم ينظر إليه على أنه تعبير عن شعور خاص وعن انفعال في طبيعة جميلة بقدر ما وظفه أداة لإصلاح المجتمع، وهذا ما انعكس بشكل سلبي على البناء الفني للقصيدة.

وإذا كان قد أبدى إعجابه بالتجديد الذي أحرزه الشاعر الإصلاحي حينما تمكن من الجمع بين المضامين الاجتماعية والقومية والدينية، إلا أن هذا لم يمنعه من الاعتراف بالجانب التقليدي للقصيدة الإصلاحية في جانبها الأسلوبي.

غير أن ما يسترعي الانتباه في نقده المضموني للشعر الإصلاحي، تصنيفاته لانجاهاته ومضامينه⁽⁴⁷⁾، التي لا تستند في رأينا على معايير نقدية واضحة، فمثلا نجد أن حديثه عن القصائد الإصلاحية ذات المنحى الرومانسي لا يعني أنها امتداد للمدرسة الرومانسية ذلك لأن المفهوم الكلاسيكي للشعر ظل من أهم مبادئ الشعر الإصلاحي في الجزائر. كما أن إدراجه لبعض القصائد الإصلاحية في المنحى الواقعي يخالف تنظيراته التي أكد لنا فيها أن الواقعية الحقيقية هي إعادة للواقع وتشكيله وفق ذات الشاعر، وهذا ما لم يتحقق في هذه القصائد التي اكتفت بالتسجيل الآلي للأحداث والوقائع.

وإذا كان ركيبي قد أرجع تداخل مضامين الشعر الإصلاحي في القصيدة الواحدة إلى اضطراب في البيئة الثقافية والفكرية والسياسية والاجتماعية⁽⁴⁸⁾، فإننا نراه قد أغفل عاملا مهما في هذا التداخل، مرده الأساسي ذلك الصراع الذي عاشه الشاعر الإصلاحي بين إرضاء جمهوره ونيل إعجابه من جهة، وبين إرضاء رغباته الفنية من جهة أخرى، وهذا ما انعكس بشكل سلبي على طريقته في توظيف بعض التقنيات الأسلوبية التي اتسمت -في أحيان كثيرة- بالسطحية والابتذال، فلم تكن معادلا موضوعيا لما هو موجود في ذاته وإنما كانت مجرد زخرفة لفظية فقط.

فالشاعر الإصلاحي لم يهتم بما تثيره بعض المواضيع في نفسه، وإنما نظر إليها من الخارج دون أن يتفاعل معها ووظفها لخدمة أفكاره الإصلاحية، وهذا ما اتضح لنا في بعض

القصائد التي اتخذت الطبيعة موضوعا لها فكانت تسجيلا آليا لها، فالشاعر لم يتفاعل مع الطبيعة بالقدر الذي يجعل من شعره تجربة حية معيشة وهذا ما أفقده أهم مبادئ الشعر الراقى وهما الأصالة والصدق الفني.

وبرغم إدراك ناقدنا لهذه المسألة فإنه ظل يحتكم - كعادته - للجانب المضموني في رؤيته للشعر وتقييمه له، منطلقا في ذلك كله من رؤية "جورج لوكاتش Georges Lukacs" التي يؤكد فيها أن "المضمون هو الذي يحدد بالشكل"⁽⁴⁹⁾، فقيمة العمل الشعري - في منظوره - لا تقاس ببنية الأسلوب وإنما تقاس بأبعاد الموضوعات العظيمة، خاصة إذا كانت هذه المضامين تعنى بالفكر القومي، وهذا ما وجدناه في الشعر الإصلاحي الذي كان سجلا للفكر الديني وللعقيدة الروحية، ودعوة لهما أسهمت في إيقاظ الوعي، وفضح الأساليب الطرقية والمنافحة عن الفكر الإصلاحي.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1 - عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981 - ص: 32-33.
- 2 - المصدر نفسه - ص: 7.
- 3 - عبد الله ركيبي: حوارات صريحة " أحاديث مع صاحبة الجلالة تمتد إلى أكثر من ثلاثين سنة داخل الوطن وخارجه " - دار هومه - الجزائر - 2000 - ص: 16.
- 4 - الوئاس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1988 - ص: 207.
- * نذكر من هذه الدراسات: الشعر الديني الجزائري الحديث - عروبة الفكر والثقافة أولا.
- 5 - عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث - ص: 5.
- 6 - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير - دار العلم للملايين - بيروت - ط1 - 1981 - ص: 187.
- 7 - مختار حيار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني (دراسة موضوعية وفنية) - رسالة دكتوراه مخطوطة - جامعة عين شمس - 1990-1991 - ص: 16.
- 8 - ينظر عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث - ص: 45.
- 9 - زكي مبارك: المذاهب النبوية في الأدب العربي - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - د.ت - ص: 17.
- 10 - علي الخطيب: اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي - دار التضامن للطباعة - القاهرة - د.ت - ص: 86.
- 11 - صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1984 - ص: 52.
- 12 - عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث - ص: 713-714.
- 13 - مص.ن.ص: 51.
- 14 - مص.ن.ص: 118.
- 15 - مص.ن.ص: 119.
- 16 - مص.ن.ص: 55.
- 17 - مختار حيار: شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا والتشكيل) - اتحاد الكتاب العرب - دمشق - 2002 - ص: 23-24. نسخة تم تنزيلها من موقع اتحاد الكتاب العرب: www.awu-dam.com
- 18 - هيثم الجنابي: أدب التصوف - مجلة نزوى الإلكترونية - العدد التاسع - يناير 1997. <http://www.Niswa.com/vol9>
- 19 - عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث - ص: 235.

- 20- مص.ن-ص: 243.
- 21- مختار حيار: شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا والتشكيل)-ص: 44.
- 22- ينظر عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 280.
- 23- فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا- المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1985-ص: 229.
- 24- مر.ن- ص: 217.
- 25- مر.ن- ص: 217.
- 26- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 363.
- 27- مص. ن- ص: 364.
- 28- محمد المرزوقي: الأدب الشعبي – الدار التونسية للنشر – 1967 – ط.1- ص: 51. نقلا عن عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 366.
- 29- ينظر التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945) – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1983-ص: 372-375.
- 30- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 363.
- 31- ينظر مص. ن - ص: 485.
- 32- مص. ن- ص: 440.
- 33- ينظر مص.ن - ص: 493.
- 34- ينظر التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة-ص: 87.
- 35- ينظر عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 371.
- 36- ينظر عبد الله ركيبي: عروبة الفكر والثقافة أولا..-المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر-1984-ص: 43-44.
- 37- ينظر عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 628.
- 38- ينظر عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر(1931-1954)-ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر-1983-ص: 62.
- 39- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 559.
- 40- صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث- ص: 34.
- 41- محمد الطاهر يحيياوي: أحاديث في الأدب والنقد (عن حوار أجراه مع عبد الله ركيبي ونشره في جريدة المساء بتاريخ 17 جانفي 1987 والموسوم "بأدباء السبعينات يمتازون بجرأة التجريب")- ص: 15 ونشره ركيبي في كتابه حوارات صحيحة- ص: 128.
- 42- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 576.
- 43- مص.ن - ص: 633.
- 44- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975)- رسالة دكتوراه مخطوطة- الجزائر-1982-1983-ص: 48.
- 45- مقال مخطوط لواسيني الأعرج: حدود الشعر الإصلاحي "الأثر الإيديولوجي والأثر الجمالي"- نقلا عن محمد كنائي: الشعر الإصلاحي الجزائري الحديث (قضايا المعنوية والفنية 1925-1962) –رسالة ماجستير مخطوطة-جامعة الجزائر-1993-1994-ص: 237.
- 46- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث- رسالة دكتوراه مخطوطة- ص: 631.
- 47- ينظر عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث- ص: 235-236.
- 48- ينظر مص. ن - ص: 646.
- 49- جورج لوكاتش: معنى الواقعية المعاصرة- ترجمة: أمين العيوطي- دار المعارف-مصر-1971-ص: 18.